الدرس العاشر

سفر ناحوم

إعلان دينونة نينوى

مقدمة

ناحوم هو أحد ثلاثة أسفار من أسفار الأنبياء في العهد القديم تدور بشكل رئيسي حول قوى أمميّة بدلاً من شعب عهد يهوه. وهذه الأسفار هي:

عوبديا – أدوم

يونان – نينوى

ناحوم – نينوى

كاتب السفرِ هو ناحوم الألقوشي (1: 1) الذي لا نعرفُ الكثير عنه. وعلى ما يبدو، فإن ناحوم قد عاش في يهوذا، حيث إنه يكتب بقلب يفيض محبة ليهوذا (1: 15). واسمه (بالعبرية נַחוּם) يعني "تعزية". وسيكون دمار نينوى رسالة معزية للشعوب التي تعرضت لاضطهادها.

دينونة الله لنينوى هي الموضوع الرئيسي لهذا السفر. كانت نينوى إحدى المدن العظيمة في الإمبراطورية الآشورية القوية. وكان سقوطها عام 612 ق م علامةً على انهيار الإمبراطورية الآشورية. ويأتي ناحوم في 3: 8 على ذكر مدينةِ نُوَ أمون على ضفاف النيل. وفي هذا إشارة إلى مدينة طيبة، مدينة أمون، الواقعة في صعيد مصر. وقد سقطت طيبة على يد آشوربانيبال عام 663 ق م. وبالتالي، يكون سفر ناحوم قد كُتب في الفترة ما بين 663–612 ق م التي كان فيها انتظار لسقوط نينوى.

لا يجب أن يدهشنا أن يضمّن الله الكتاب المقدس سفراً يتناول دولةً عظمى وثنية كهذه. إذ كانت نينوى والإمبراطورية الآشورية موضوعين لهما دلالةٌ خاصة في إعلانات الله السابقة. فقد أُرسل يونان إلى نينوى في القرن الثامن قبل الميلاد. وكانت نتيجة كرازته هناك أن ألغى الله في نعمته الدينونة العادلة التي كان أهلها يستحقونها، بعد توبتهم الصادقة. وفي سفر إشعياء نرى أن الله ينصّبِ آشور كعصا

ينفّذ بها تأديبه للشعوب الأخرى، خاصّةً إسرائيل ويهوذا. غير أن الله وعد بمعاقبة الآشوريين على إساءتهم استعمال دعوة الله لهم (إشعياء 10: 5–14؛ انظر إشعياء 14: 24–25؛ 30: 31–33؛ 31: 8–9؛ حزقيال 32: 22–23؛ صفنيا 2: 13–15؛ زكريا 10: 11). وفي حين تنبأ عوبديا بدمار أدوم، وحبقوق بدمار بابل، تنبأ ناحوم بدمار آشور.

خلفية عن آشور

أصبحت آشور القوة المهيمنة في الشرق الأدنى القديم خلال الفترة الممتدة من القرن التاسع إلى السابع ق م. وقامت بسبي مملكة إسرائيل الشمالية عام 722 ق م. وكانت يهوذا في أغلب الأحيان ولاية تابعة لآشور من 732 ق م فصاعداً، فكانت تدفع الجزية لملوك آشور. وقد كان قصر كثيرين من ملوك آشور في نينوى، مما جعل نينوى تلعب في أحيان كثيرة دور المدينة الرئيسية أو العاصمة.

"صبغ سنحاريب (704–681) نينوى بصبغة الإمبراطورية الآشورية. ووسّع المدينةَ ثلاثة أضعاف حجمها وجعلها عاصمة له."[1]

وسقطت نينوى على يد البابليين والماديين والسكّيثيين في آب، 612 ق م.

كانت نينوى عاصمة لإحدى أكثر الإمبراطوريات قسوةً وخساسةً وثراءً وقوةً ووثنيةً في العالم. كان الآشوريون محاربين جبابرة، يقومون دائماً بحملات الإغارة والغزو على الدول المجاورة. وكانت الأمم المجاورة ترتعد خوفاً بسبب الوحشية التي اشتهروا بها. إذ كان الآشوريون يلجأون إلى أشكال مختلفة من الإعدام. يقول جورج رولنسون في كتابه عن الممالك القديمة إن استخدام الخوازيق (وضع الشخص المراد قتله على عمود ماضٍ) كان وسيلة إعدام مفضلة، لا شك أن الآشوريين لجأوا إلى استخدامها بسبب وحشيتهم المفرطة. فكان يوضع وتد مدبّب في الأرض، ثم يوضع الضحية عليه ليخترق الوتد المدبّب معدته من الداخل إلى عظام صدره. وكانت هنالك وسيلة أخرى شائعة لإعدام الأسرى، ألا وهي تحطيم جمجمة الأسير الراكع بقضيب معدني شائك. وكان آخرون يعدمون بقطع رؤوسهم بالسيف، أو بحرقهم في النار أحياء. كما تصوّر النقوش الآشورية المستخرجة من المواقع الأثرية، الجلادين الآشوريين وهم يسلخون جلود أسراهم بسكين. فكان الضحية يربط من معصميه وكاحليه إلى أوتاد في الأرض، بينما كان الجلد يسلخ عن جسده بسكين. ولم يكن قطعُ أعضاء الأسرى أمراً غير شائع لدى الآشوريين، إذ كانوا يقطعون آذان ضحاياهم وأنوفهم ويفقأون عيونهم بقضبانٍ حديديةٍ ساخنة، أو كانوا يقتلعون ألسنتهم من جذورها.[2]

---

[1] John Walton, *Survey of the Old Testament* (Grand Rapids, MI: Zondervan Pub. House, 1991), 397.

[2] George Rawlinson, The Seven Great Monarchies of the Ancient Eastern World, 1:278-80.

وكانت القسوة التي يعامل بها الآشوريون أعداءهم من أكثر ميزاتهم جدارة بالملاحظة. يسجل لنا جونسون الروايات المثيرة التالية التي يفتخر فيها ملوك آشوريون بقسوتهم:[3]

"افتخر آشور بانيبال الثاني (883–859) قائلاً: " اجتحت قمم الجبال واستوليت عليها . وفي وسط الجبال الشاهقة ذبحتهم. بدمهم صبغت الجبال لتصير حمراء كالصوف. . . . قطعت رؤوس المحاربين، وشكلت منها عموداً ارتفع فوق مدينتهم. أحرقت شبابهم وعذاراهم في النار. "(Luckenbill, *Ancient Records of Assyria and Babylonia*, 1:148). وفي ما يتعلق بقائدٍ أسير، كتب: "سلخت جلده ونشرته فوق سور المدينة. . ." (المرجع السابق، 1: 146). كما كتب أيضاً عن قطع أعضاء أجساد الأسرى الأحياء وتشكيل أكوام من جثثهم.

وافتخر شلمنأسرُ الثاني (859–824) بفظائعه بعد إحدى حملاته: "نصبتُ هرماً من الرؤوس أمام مدينته. وأحرقت شبابهم وعذاراهم في ألسنة النار" (المرجع السابق 1: 213). وكتب سنحاريب (705–681) عمّا فعله بأعدائه: "قطعت حناجرهم كالحملان. قطعت حياتهم الغالية كما يقطع المرء خيطاً. جعلتُ محتويات حناجرهم وأحشاءهم تجري على الأرض الفسيحة كمياه الأعاصير. . . . قطعتُ أيديهم" (المرجع السابق 2: 127).

ووصف آشوربانيبال (669–626) معاملته لقائد أسير: "جعلت خنجري الحادّ يخترق ذقنه. ومن خلال فكّه. . . مرّرت حبلاً، ووضعت سلسلة كلب عليه وأسكنته في بيت كلب" (المرجع السابق 2: 319). وفي حملته على مصر، افتخر آشوربانيبال أيضاً بأن قادة جيشه علّقوا جثث المصريين على أوتادٍ ونزعوا جلودهم وغطّوا بها أسوار المدينة" (المرجع السابق 2: 295).

وبسبب تأثير ملك يهوذا الشرير منسّى، دخلت العبادة الآشورية الرسمية الوثنية إلى المملكة الجنوبية (انظر2 ملوك 21: 1–18؛ 23: 8–9؛ 2 أخبار 33: 3). وأثناء حكم يوشيّا (639–609ق م)، ومع تسرّب الضعف إلى آشور، أُلغيت العبادة الوثنية وانتهت السيادة الآشورية.

دمار نينوى

[3] Elliott E. Johnson, "Nahum," in *The Bible Knowledge Commentary (OT)*, ed. John Walvoord and Roy Zuck (Wheaton, IL: Victor Books, 1985), 1494.

دُمّرت المدينة عام 612 ق م على يد البابليين والماديين والسكيثيين. ويقول المؤرخ القديم ديودورس سيكيولاس إن السكيثيين بقيادة آرباسز حاصروا المدينة ثلاث سنوات دون طائل. وفي السنة الثالثة أدت مياه الأمطار إلى فيضان نهر خوسر الذي كان يجري عبر المدينة، مما أدى إلى تحطم البوابات الحاجزة لمياه الفيضان وتدمير جزء من سور المدينة. ويؤكد هذا صحة النبوءات التي سبقت هذه الحادثة، في سفر ناحوم:

"ولكن بطوفان عابر يصنع هلاكاً تامّاً لموضعها، وأعداؤه يتبعهم ظلام" (1: 8)، و"أبواب الأنهار انفتحت، والقصر قد ذاب" (2: 6)، و"تنفتح لأعدائك أبواب أرضك" (3: 13ب).

كان دمار المدينة كاملاً حتى إن الإسكندر المكدوني لمّا خاض معركة آربيلا عام 331 ق م، لم يعرف بوجود مدينة هناك. ولمّا مرّ بالمكان زينوفون بجيشه المؤلف من 10.000 جندي بعد مئتي عام، افترض أن الركام الموجود كان بقايا مدينة بارثية. ولمّا خيّم نابوليون قرب هذا الموقع، لم يعرفه أيضاً.

وفي عام 1845 حدّد لايارد الموقع المعروف باسم كويونجيك على أنه موقع نينوى. وتبيّن أن محيط السور الداخلي هو حوالي ثمانية أميال. فإذا قلنا إنه كان لكل ساكن فيها خمسون ياردةً مربعة (كما اقترح فيليكس جونز عام 1854)، لاستنتجنا أن عدد سكان المدينة وصل إلى 174.000 نسمة. غير أنه إذا كانت الإشارة في يونان 4: 11 إلى 120.000 شخص لا يعرفون شمالهم من يمينهم هي للأطفال فقط، فإن عدد سكانها يصل إلى حوالي 600.000 نسمة. ولهذا فإننا نفترض أن حدود المدينة كانت تتجاوز أسوارها. إذ تمتد الآثار بمحاذاة نهر دجلة إلى الجنوب من نمرود (كالح) وشمالاً إلى خورسباد. وربما تشير الرحلة التي استغرقت ثلاثة أيام لقطع مدينة نينوى (3: 3) إلى الامتدادات الخارجية لهذه الضواحي من حترا إلى خورسباد إلى نمرود، والتي ربما وصلت إلى ستين ميلاً.

هدف السفر

الهدف المعلن

إعلان سقوط نينوى وبالتالي تعزية يهوذا بالتوكيد لها أن الله مسيطر على الشعوب التي تضطهدها.

الدلالة

ارتكبت آشور فظائع شنيعة ضد شعوب الشرق الأدنى القديم، بما في ذلك إسرائيل عام 722 ق م. وقد أحسّت يهوذا بظلم آشور حيث إن الأخيرة قهرت جزءاً كبيراً من الأرض، وحاصرت أورشليم نفسها عام 701 ق م في أيام حزقيا. وكثيراً ما اضطرت يهوذا إلى دفع الجزية إلى آشور، من أيام آحاز وحتى حكم منسّى.

درس لحياتنا

في وسط سفر موضوعه الرئيسي غضب الله ودينونته، توجد آية معزية في 1: 7: "صالح هو الرب، حصنٌ في يوم الضيق، وهو يعرف المتوكلين عليه." إن غضب آشور وغضب الله مهوبان ومخيفان. لكن غضب الله محكوم بطبيعته البارّة. إذ يقع غضبه على الذين رفضوا الملجأ الذي وفّره لهم في نفسه. أمّا آشور فكانت عديمة الرحمة في تنفيذ غضبها، لكن إلهنا صالح: فهو لا يطلق غضبه دون أن يوفّر أولاً فرصة الرحمة للذين يتخذون منه ملجأ لهم. فما أعظم إلهَنا ! فهو صالحٌ حقاً . . . صالح بغير حدود ! إلهنا، وربنا، كم يسعدنا أن نتخذ منك أنت ملجأ لنا !